المَخَاصِرُ الصَّوْلَجَانية
تاريخها، وآثارها على ضوء فنون التصوير الإسلامي

د. عبد الناصر ياسين•

تتضمن دراستنا هذه مصطلحين، أولهما: "المَخَاصِر"، وثانيهما: "الصَّوْلَجَانية"، و"المَخَاصر" مصطلح عربيّ فصيح، أما "الصَّوْلَجَانية"، فنسبة إلى "الصَّوْلَجَان"، وهي كلمة معرَّبة عن الفارسية "جوكان".

في الحقيقة إنَّ مصطلح "المَخَاصِر" مبهمٌ على كثير منا، ولذلك فمن المهم أن نقف على تعريفه آخذين في الحسبان أننا سنتناول كثيرًا من التفاصيل المتصلة باستعمال المَخَاصِر، وأشكالها، ومواد صناعتها، وذلك في المحور الذي سنخصصه للمَخَاصِر الصَّوْلَجَانية في العصر الإسلامي. كذلك ضروريًا أن نقف على تعريف مصطلح "الصَّوْلَجَان"، لعلنا نكون قد استوفينا تعريف "المَخَاصِرُ الصَّوْلَجَانية".

المَخَاصِرُ:

قال ابن منظور المَخَاصِرُ: جمع مِخْصَرَة، وهي "ما اخْتَصَر الإنسانُ بيده فأمسكه من عصا، أو مِقْرَعَةٍ، أو عَنَزَةٍ، أو عُكَّازَةٍ، أو قضِيب وما أشبهها"[١]. وبناء عليه فمصطلح "المَخَاصِر" يُشير إلى أدوات كثيرة، وهو مصطلح جامع، يُمكننا أن نستغني به عن ذكر كل ما سبق من الأدوات التي يختصرها الإنسان بيده فيمسكها[٢].

والأصل في استعمال جميع أنواع المَخَاصِر سابقة الذكر، هو الاتكاء عليها[٣]، ولذلك كان يستعملها سادة الناس، وعامتهم على حد سواء، فيُقال: اختصر بالعصا: أي اعتمد عليها في مشيه[٤]،ومِثل ذلك اختصر بالعُكَّاز،واختصر بالقَضِيب، واختصر بالعَنَزَة..إلخ.

• قسم الآثار الإسلامية– كلية الآداب– جامعة سوهاج

١)ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل، لسان العرب، تحقيق، عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، مج ٤، ص,٢٨٣

٢) يُؤخذ في عين الاعتبار أن "المِخْصَرة" قد تعني في الوقت ذاته أداة بعينها، وهو ما يُمكن أن نستشفه من قول "ابن قيم الجوزية" أنه كان للرسول (ﷺ) مِحْجَن، ومخصرة، وقضيب، وعكاز. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، القاهرة، ١٩٩٩م، جـ ١، ص٧٨.

٣)ورد ذكر أحد أنواع هذه المخاصر وهي العصا في قوله تعالى:"وما تلك بيمينك يا موسى، قال هي عصاي أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمي،ولي فيها مآرب أخرى".سورة طه، الآيتان:١٧، ١٨.وعن تفسيرهما،راجع،ابن كثير،الحافظ عماد الدين،أبو الفدا، تفسير القرآن العظيم،ج ٣، ص١٤٩.

٤) الزمخشري، جار الله أبي القاسم، أساس البلاغة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الذخائر، العدد ٩٥، مايو، ٢٠٠٣م، جـ ١، ص٢٣٣.

علاوة على ذلك فقد كانت المَخَاصِر –أيضًا– من شعار الملوك، وقد جرى العرف أن يأخذ الملك بالمِخْصَرَة مُشيرًا بها إذا خطب[٥]، وفي ذلك قال "حسان بن ثابت" (؟-٥٤هـ/ ؟- ٦٧٣م)[٦]:

يصيبون فصلَ القول في كل خطبةٍ إذا وَصَلوا أيمانهم بالمخاصِرِ

وقال –أيضًا– كُثيِّر عَزة (٤٠- ١٠٥هـ/ ٦٦٠- ٧٢٣م)[٧]:

إذا قرعوا المنابرَ ثم خَطّوا بأطراف المَخاصِرِ كالغِضابِ

وقال كذلك سهم بن حنظلة[٨]:

خُذْها أَبَا عَبد المَليكِ بِحَقِّها وارفْع يَمينَكِ بالعَصَا فَتَخَصَر

الصَّوْلَجَانُ:

"الصَّوْلَجَان" تعريب للكلمة الفارسية "چُوگَان"، وتعني العود المعوج[٩]، أو معقوف الطرف، ويُقابله في العربية: الطَّبْطَابَةُ[١٠]، والمِيجار[١١]، والمِحْجن[١٢]؛ وتُشير جميعها – حسبما ورد في المعاجم اللغوية القديمة– إلى تلك الأداة التي يستخدمها الفرسان لضرب الكرة أثناء ممارسة لعبة "الكرة والصولجان"[١٣]، ولكن بات من المستقر عليه في المعاجم اللغوية الحديثة أن "الصولجان" يعني –أيضًا– الأداة التي يحملها الملوك، والأمراء،وكبار القادة كرمز يُشير إلى سلطتهم،وفي هذا السياق قيل:"صَوْلجانُ المُلْك":

---

[٥]) ابن منظور، مج ٤، ص٢٨٣؛ وانظر، الفيرزآبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، دار إحياء التراث، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠م، جـ ١، ص٥٤٥.

[٦]) قالها مادحًا ملوك بني ماء السماء. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق، بدر الدين حاضري، ومحمد حمامي، دار الشرق العربي، حلب، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ص١٠٨.

[٧]) قالها مادحًا خلفاء بني أمية. ديوان كثير عزة، شرح، قدري مايو، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م، ص٧٣.

[٨]) الزمخشري، مج ١، ص٢٣٣.

[٩])السيد ادي شير، كتاب الألفاظ الفارسية المُعربة، دار العرب للبستاني، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص١٠٩؛ وراجع، ابن سيدة، أبي الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق، دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، جـ ٣، ص١٥٨.

١٠) الطبطابة: خشبة عريضة يُلعب بها الكرة. ابن منظور، مج ١، ص٦٤٧. أي المحجن.

[١١])الميجار: الصولجان. ابن منظور، مج ٥، ص٣٤٤.

[١٢]) راجع، الرازي، ص١٢٥؛ ابن سيده، جـ ١، ص١٥٦؛ الفيروز آبادي، جـ ٢، ص١٥٦٢.

[١٣]) هي عبارة عن كرة تُصنع من مادة خفيفة مرنة تلقى في أرض ميدان فيتسابق الفرسان في التقاطها بعصا معقوفة –الجوكان– يرسلون بها الكرة في الهواء وهم على خيولهم. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، مج ٢، جـ ٥، ص٦٩٨.

عَصا يحمِلُها المَلِك،ترمزُ لسُلْطانه[١٤]،وقيل كذلك:"الصولجان":عصا يحملها ملك،أو قائد عظيم رمزًا للسلطة[١٥]،لذا فهو يُعرف بـــ:عصا المُلْك[١٦]،وعَصا القِيادَة، أو السُّلْطَة[١٧].
قياسًا إلى ما تقدم، فكل المَخَاصِر –كالعصا، والقَضِيب، والمِحْجَن، والعَنَزَة، والعُكَّاز، وما شابه ذلك– التي كان يحملها الملوك، والأمراء، وكبار القادة، رامزين بها لسلطتهم، هي بمثابة "صولجانات".
ومعلوم أن الملوك منذ العصور القديمة استخدموا كثيرًا من الأدوات، يرمزون بها لسلطتهم، ومن هذه الأدوات المَخَاصِر بأنواعها، وأشكالها المختلفة، وكانت هذه الأدوات تُستعمل في الحياة المدنية، مؤدية وظيفة واحدة؛ هي الرمز للسلطة، وتختلف هذه الأدوات عن أداة أخرى هي "الدبوس"، الذي هو في الأصل أحد أنواع الأسلحة الهجومية الفردية، إلا أنه كان يُستعمل –أحيانًا– كصولجان يحمله الملوك، والأمراء، وكبار القادة، رامزين به لسلطتهم[١٨].

المخاصر الصولجانية قبل العصر الإسلامي:

إنَّ استعمال الأدوات الرامزة للسلطة بوجه عام، يمتد بجذوره في أعماق التاريخ، حيث عُرفت في كثير من الحضارات القديمة، وبخلاف الدبابيس الرامزة للسلطة، فقد وصلتنا نماذج كثيرة من المَخَاصِر الرامزة للسلطة –"المَخَاصِر الصَّوْلَجَانية"– وذلك في عديد من النقوش، والمنحوتات المصرية، والإغريقية[١٩]، والرومانية[٢٠]،

---

[١٤] المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٧٤.
[١٥] أحمد محمد عيسى، مصطلحات الفن الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، إستانبول، ١٩٩٤م، ص١٠٨.
[١٦] عبد المنعم محمد حسين، قاموس الفارسية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص٤٣٧.
[١٧] حلمي عزيز، ومحمد غيطاس، قاموس المصطلحات الأثرية والفنية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ١٩٩٣م، ص١٢٢.
[١٨] راجع، حسين عليوة، السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك "دراسة أثرية"، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م، ص٢٩١، ٢٩٢؛ عبد الناصر ياسين، الدبابيس ذات الرؤوس غير التقليدية في تصاوير المخطوطات الإيرانية خلال الفترة من ق ٨– ١٢هـ/ ١٤– ١٨م، مع دراسة مقارنة لمثيلاتها في تصاوير المخطوطات الإسلامية المعاصرة، بحث مقبول للنشر في مؤتمر الفيوم السادس، كلية الآثار، جامعة الفيوم، ٢٢– ٢٤إبريل، ٢٠٠٧م.
[١٩] انظر، عبد المعطي شعراوي، أساطير إغريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٥م، جـ ٣، الأشكال ٨، ١٠، ٣٦، ٣٩.
[٢٠] انظر، نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، دار المعارف، القاهرة، ط ٧، د. ت، شكل ٢٧٨.

والفارسية[٢١]، وغيرها، وإن كانت قد شاعت بشكل كبير في مصر القديمة؛ وتظهر بصفة عامة حاملاً إياها الآلهة، والملوك، وأشهر أشكالها هي تلك التي على هيئة عصا قصيرة، أو طويلة ذات رأس معقوفة الطرف[٢٢] (لوحة ١)، أو على هيئة عصا طويلة ذات رأس مُشَكَّل على هيئة زهرة اللوتس[٢٣]، أو على هيئة عصا طويلة ذات رأس مُشَكَّل على هيئة رأس حيوان من الفصيلة الكلبية (لوحة ٢)، أو على هيئة رأس طائر، وغير ذلك[٢٤] (الشكلان ١، ٢).

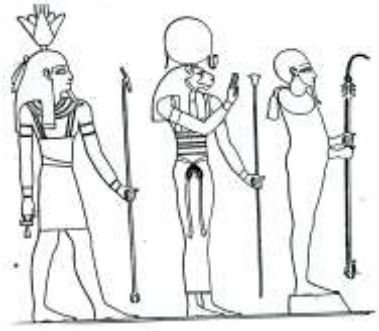

(شكل ١)

(شكل ٢)

علاوة على استعمال المخاصر كرمز للسلطة من قِبل الآلهة، والملوك في الحضارات القديمة، فقد شاع استخدامها كذلك من قِبَل رجال الدين المسيحي، ووصلنا منها نماذج

---

[٢١] انظر، Herzfeld, E, E., Iran in the Ancient East, Archaeological Studies Presented in the Lowell Lectures at Boston, Oxford University, London, 1941, pls. LXVII, LXVII.

[٢٢] انظر، موسوعة وصف مصر، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م، جـ ١٦، اللوحات، ٨٠، ٨٣، ٨٥، جـ ١٧، اللوحتان، ٣٠، ٣٧، هورنورج، أريك، وادي الملوك أفق الأبدية، العالم الآخر لدى قدماء المصريين، ترجمة، محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م، الأشكال ص١٦٢، ٢٠٠، ٢٣١. ويُعرف هذا الصولجان باسم "عصا الراعي"، و"المحجن"، وكان يقبض عليه الإله أو الملك مع "المنشة"، كرمز للسيادة. راجع، هورنورج، لوحة ٨٣، والتعليق عليها ص٣٠٦، لوحة ١٤٥، والتعليق عليها، ص٣٣٩.

[٢٣] انظر، موسوعة وصف مصر، اللوحات، ١٦، ٢٢، ٢٣، ٥٧، ٩٦، جـ ١٨، اللوحات، ٥، ١٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨،؛ هاري، ج، شكل ص٤٢.

[٢٤] انظر، موسوعة وصف مصر، جـ ١٥، اللوحات، ١٦، ٢٢، ٤٣، ٨٢، جـ ١٦، اللوحات، ٣٦، ٤٤، ٩٠، ٩١، جـ ١٧، اللوحات، ٢٢، ٣٧، ٤٧، ٦٣، جـ ١٨، اللوحات، ١٥، ١٦، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨؛ هاري. ج، إيمحتب إله الطب، هيئة الآثار المصرية، مشروع المائة كتاب، رقم ١٢، هيئة الآثار المصرية، ١٩٨٦م، الأشكال ص٢١، ٣٧، ٤٤، ٥٠، ٧٠، ٧١؛

Hassan, A., Stöcke und Stäbe im Pharaonischen Ägypten bis zum Ende des Neuen Reiches, Berlin, 1976, Abbs. 28, 30, 34.

كثيرة تميزت بتنوع أشكالها، فمنها ما يأخذ هيئة قَضِيب ينتهي من أعلى بشكل صليب، أو بشكل بيضاوي، أو بشكل زهرة، ومنها ما على هيئة عصا طويلة ذات رأس معقوف الطرف، أو ينتهي طرفها بشكل صليب[٢٥]، أو يخرج من نهايتها فرعان يَتَّخِذُ كلٌ منهما شكلَ عنق أفعى برأس منحني، وفي الوسط بين الرأسين بروز يعلوه صليب[٢٦] (شكل ٣)، وغير ذلك من الأشكال التي قد لا يحدها حصر.

جدير بالذكر أن المَخَاصِر استُخدمت من قِبَل بعض رجال الدين المسيحيي كرمز يُشير إلى السلطة أيضًا، حيث كان "العُكَّاز"، أو "عصا الرعاية"، أو "عصا البطريكية"؛ التي يحملها البطاركة الأقباط تُعرف لديهم بـ "رمز الرئاسة، والسلطة"، وقد أشار أحد العلماء إلى أن هذه العصا كانت بمثابة صولجانًا مَلِكِيًا، مثلما كان غطاء رأس البطريك بمثابة تاجًا مَلِكِيًا[٢٧].

(شكل ٣)

المخاصر الصولجانية في العصر الإسلامي:

على الرغم من أنه وصلتنا كثير من الإشارات التاريخية التي تفيد استخدام المَخَاصِر الصولجانية في بعض العصور الإسلامية، ووصلنا كذلك عدة تصاوير تبين بعض السلاطين، والأمراء، والقادة المسلمين، حاملين لها؛ فأقر بأن ما بين يدي من

---

[٢٥] والترز، ك. ك، الأديرة الأثرية في مصر، ترجمة، إبراهيم سلامة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م، شكل ٣٦؛ ثناء بلال، الملابس في العصرين القبطي والإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢-١٩٨٣م، الأشكال ٣- ٥.

[٢٦] بتلر، ألفريد، الكنائس القبطية القديمة في مصر، ترجمة، إبراهيم سلامة إبراهيم، سلسلة الألف كتاب الثاني، العدد ١٣١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، جـ ٢، ص١٧١.

[٢٧] بتلر، ألفريد، جـ ٢، ص١٧٠.

المصادر، والمراجع لا يفي بمعلومات يُمْكِنُنا من خلالها تتبع تاريخ هذه الأدوات بشكل كافٍ. وإذا كان من الثابت لدينا –كما سيتبين فيما بعد– أن كثيرًا من الخلفاء المسلمين استعملوا بعض هذه الأدوات، بل وكان منها ما يمثل أحد شعارات الخلافة لدى بعضهم، فلنا أن نتساءل عن تاريخ بداية استخدام هذه الأدوات عند المسلمين.

لقد ذكر "ابنُ قيم الجوزية" أنه كان للرسول (ﷺ) مِحْجَن قدْر ذراع أو أطول يمشي به ويركب به، ويُعلقه بين يديه على بعيره، كما كانت له (ﷺ) مِخْصَرة تُسمى: العرجون، وقضِيب[٢٨] من الشوحط يسمى: الممشوق، كما قال كذلك أنه كان له (ﷺ) حربة صغيرة شبه العُكَّاز يقال لها: العَنَزَة يمشي بها بين يديه في الأعياد، تركز أمامه، فيتخذها سترة يُصلي إليها، وكان يمشي بها أحيانًا[٢٩]، وذكر أيضًا أنه (ﷺ) كان إذا قام يخطب، أخذ عصا، فتوكأ عليها وهو على المنبر[٣٠].

إذن فقد اتخذ الرسول (ﷺ) أدوات كثيرة لازمته في مواقف متعددة، وهي المِحْجَن، والمِخْصَرَة، والقَضِيب، والعُكَّاز، أو العَنزَة، والعصا، وإذا كان فيما تقدم ما يدل على أن الرسول (ﷺ) استعمل هذه الأدوات لتأدية مهامٍ مادية ملموسة، فالسؤال الذي يطرح نفسه، أأقتصرت هذه الأدوات على هذا الأمر، أم كان لها دور آخر؟

لقد أشار صاحب الحكومة النبوية إلى أنه كان لرسول الله (ﷺ) "مِحْجَن ومِخْصَرة تُسمى العُرجون وقضِيب يسمى الممشوق، قال شارحه: المِحْجَن بالتحريك الاعوجاج والمِحْجَن كالصولجان وقيل المِحْجَن دون العَنَزَة قدر ذراع أو أكثر معوَجُ الطرف كان يمشي به ويعلق بين يديه على البعير، والمِخْصَرة كالسوط وكل ما اختصر الإنسان بيده وأمسكه من عصا ونحوها وقيل هي كالقَضِيب تستعمله العرب والأشراف في أيديها للتشاغل به ..."[٣١].

كما قال أيضًا: "كان له (ﷺ) مِخْصَرَة وقضِيب وعَنَزَة تحمل بين يديه وهكذا كانت عادة عظماء العرب ..."[٣٢]. كما قال كذلك: " كان له (ﷺ) مِخْصَرة وقضِيب وعَصية

---

[٢٨] جدير بالذكر أنه يوجد ضمن المخلفات النبوية بمسجد الأمام الحسين بالقاهرة، جزء من قضيب من خشب الشوحط، يرى بعض العلماء أنه قد يكون جزءًا من قضيب، أو عصا الرسول (ﷺ). النبوي جبر سراج، آثار الرسول ومخلفاته الشريفة (ﷺ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت، ص٧٥. كما يوجد ضمن مقتنيات متحف طوبقابو سراي باستانيول، عصا تُنسب للرسول (ﷺ)، وهي تتميز بجسم متعرج، له رأس مستديرة الشكل. النبوي جبر، لوحة ص٨٨.

[٢٩] ابن قيم الجوزية، جـ ١، ص٥٣.

[٣٠] ابن قيم الجوزية، جـ ١، ص٧٨.

[٣١] عبد الحي الكتاني، نظم الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، جـ ١، ص٨٢، ٨٣.

[٣٢] عبد الحي الكتاني، جـ ١، ص٨٣.

وعَنَزَة وكانت العرب تحمل المَخَاصِر وتخطب وهي في أيديها ويتخذونها في مجالسهم. وفي المجمل والمِخْصَرَة قَضِيب يكون مع الخطيب أو الملك إذا تكلم"[٣٣].

على ضوء ما تقدم، يمكننا القول: إن تلك الأدوات التي استعملها الرسول (ﷺ) – القَضِيب، والمِحْجَن، والمِخْصَرَة، والعَصا، والعَنَزَة– لم تكن تؤدي وظيفة مادية فحسب، بل كانت تؤدي كذلك وظيفة معنوية، وهي الدلالة على المكانة، والمنزلة العالية، وبمعنى آخر كانت هذه الأدوات بمثابة "صولجانات"، وهنا ينبغي ألا ينزعج بعضنا من القول إن الرسول (ﷺ) استخدم هذه الأدوات كصولجانات ترمز لمكانته العالية، فقد كان (ﷺ) إلى جانب أنه نبي، فهو قائد، ومؤسس دولة، وقد مر بنا أن ملوك العرب، وعظمائهم، وأشرافهم، كانوا قبل الإسلام يستعملون مثل هذه الأدوات كرمز يُشير إلى منزلتهم، وسلطتهم.

والأرجح لدي أن خلفاء الرسول (ﷺ) ساروا على نهجه في اتخاذ مثل هذه الأدوات – المخاصر– وإن كانت المصادر ضنت علينا بمعلومات عن هذا الأمر بالنسبة للخلفاء الراشدين، وخلفاء بني أمية، فقد وقفنا على معلومات قيمة عن هذا الأمر بالنسبة لخلفاء بني العباس على وجه الخصوص.

لقد ورد في بعض المصادر أنَّ من شعارات الخلافة عند خلفاء بني العباس، القَضِيب، والبُرْدَة[٣٤]، وأن ذاك القَضِيب هو عود كان النبي (ﷺ) يأخذه بيده، وقد ظل يحتفظ به خلفاء بني العباس حتى انقضاء الخلافة من بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)[٣٥]، وكان الرسم أن يكون قَضِيب النبي (ﷺ) هذا بيد الخليفة في المواكب، وبُرْدَتُه الشريفة (ﷺ) على كتفه[٣٦]، كما وصلنا كذلك ما يُفيد أن بعض الخلفاء العباسيين كانوا يجلسون على سرير الملك ممسكين بهذا القَضِيب، وعلى أكتافهم بُرْدَة النبي (ﷺ) وسيفه[٣٧]؛ والأرجح أن الخلفاء العباسيين استعملوا هذه الآثار النبوية الشريفة تبركًا بمخلفات رسول الله (ﷺ) –هذا إلى جانب ما في ذلك من دلالات دينية، وسياسية–

---

[٣٣] عبد الحي الكتاني، جـ ١، ص٨٣.

[٣٤] الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، د. ت، ط ٣، ١٩٧٣م، ص١٧٢. وعن القضيب والبردة وصلتها بالخلافة، قال الزمخشري: "وملك فلان البُردة والقضيب إذا استُخلِف". الزمخشري، جـ ٢، ص٢٦٠.

[٣٥] القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه، محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م، جـ ٣، ص٢٩١.

[٣٦] أحمد تيمور، الآثار النبوية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٩؛وراجع، ابن كثير، أبو الفدا، البداية والنهاية،تحقيق،أحمد أبو ملحم،دار الريان للتراث،القاهرة، ١٩٨٨م،مج ٣، جـ٦، ص٩,

[٣٧] راجع، فاضل الخالدي، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، دار الأديب، بغداد، ١٩٦٩م، ص٢٢١.

وأنهم استعملوا القَضِيب –قَضِيب رسول الله (ﷺ)– بمثابة صَولجان يُشير إلى خلافتهم، وسلطتهم، وقد وَرَد ذِكْر هذه الأداة تارة بلفظ العصا، وتارة أخرى بلفظ القَضِيب، وذلك في غير قصيدة لبعض شعراء العصر العباسي، ومنهم "البحتري" (٢٠٥– ٢٨٤هـ/ ٨٢٠– ٨٩٧م) الذي أشار إليها مع بعض مخلفات الرسول (ﷺ) الأخرى التي حازها الخلفاء العباسيون، واهتموا بها وحرصوا عليها، فيقول من قصيدة في مدح الخليفة "المتوكل على الله" (٢٣٢– ٢٤٧هـ/ ٨٤٧– ٨٦١م)[٣٨]:

ويقول من قصيدة أخرى يمدح بها الخليفة "المعتز بالله" (٢٥١– ٢٥٥هـ/ ٨٦٥– ٨٦٩م)، ويهجو "المستعين بالله" (٢٤٨– ٢٥١هـ/ ٨٦٢– ٨٦٥م) بعد خلعه[٣٩]:

ولَم يكن المغترّ بالله إذ سَرَى ليُعْجِزَ والمُعتزُّ بالله طالِبُهْ
رمى بالقَضِيب عنوة وهو صاغرُ وعُرّى من بُرْدِ النبي مناكبُهْ

وإذا كان الخلفاء العباسيون قد اتخذوا من قَضِيب رسول الله (ﷺ) شعارًا من شعارات خلافتهم، فلقد حرص الخلفاء الفاطميون في مصر أيضًا على اتخاذ قَضِيبًا كشعار من شعارات خلافتهم[٤٠]، محاكين به شعار العباسيين[٤١]، وقد وصلنا ما يُفيد أنه كان من بين الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العِظَام[٤٢] عند الخلفاء الفاطميين في مصر: "قَضِيب المُلْك"، وهو كما ذكر "القلقشندي" "عُود طول شبر ونصف، ملبس بالذهب المرصع بالدرّ والجوهر"، يكون بيد الخليفة في المواكب العظام"[٤٣]، وذكر

[٣٨] ديوان البحتري، دار صادر، بيروت، د. ت، مج ٢، ص,٤٠٢
[٣٩] أحمد تيمور، ص١١. ولم أقف على هذين البيتين في طبعة ديوان البحتري التي رجعت إليها.
[٤٠] عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، دراسة شاملة لنظم القصر الفاطمي ورسومه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٨م، جـ ٢، ص,٦٧
[٤١] راجع، أحمد تيمور، ح ٢، ص,٩
[٤٢] عن هذه المواكب العظام. راجع، القلقشندي، جـ ٣، ص. ص٥٧٧– ٥٩٥,
[٤٣] القلقشندي، جـ ٣، ص٥٤٠؛ وراجع، المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق، أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ٢٠٠٢م، ، مج ٢، ص٤٧٣، ٤٨٥. وجدير بالذكر أن "ناصر خسرو" ذكر عن موكب فتح الخليج أن الخليفة الفاطمي "المستنصر بالله" كان في الموكب ممسكًا بيده عصا ثمينة. ناصر خسرو، سفر نامة (رحلة ناصر خسرو القباداني)، ترجمة، أحمد خالد البدلي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٣م، ص١٠١. والأرجح لديَّ أن هذه العصا هي "قضيب الملك" ذاته.

"المقريزي" أن الخليفة "العزيز بالله" (٣٦٥- ٣٨٦هـ/ ٩٧٥- ٩٩٦م) "صلى الجمعة وخطب بجامعه في رمضان سنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م)؛ "وعليه طيلسان وبيده قَضِيب"[٤٤].

وإذا كان الخلفاء العباسيون قد اتخذوا من قضيب رسول الله (ﷺ) صولجانًا يُشير إلى سلطتهم الدينية، والسياسية، فجدير بالذكر أن ثمة إشارة تُفيد أن عَنَزة رسول الله (ﷺ) -سابقة الذكر- توارثها الخلفاء بعد وفاة الرسول[٤٥] (ﷺ)، وقد وصلنا درهم يُنسب للخليفة "عبد الملك بن مروان" (٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥هـ) على ظهره رسم يُمثل محرابًا بداخله رسم لرمح قِمَّته إلى أعلى، ويرجح بعض العلماء أن هذا الرمح يُمثل "عَنَزَة" الرسول (ﷺ)[٤٦]، وإذا صح هذا الأمر، فيصعب الاعتقاد أن الخلفاء الأمويين لم يوظفوا هذه العَنَزَة، سياسيًا، ودينيًا، كما وَظَّف الخلفاءُ العباسيون قَضِيبَ رسول الله (ﷺ).

وبخلاف قَضِيب الرسول (ﷺ) الذي اتخذه الخلفاء العباسيون صولجانًا لهم، والقَضِيب الذي اتخذه الخلفاء الفاطميون محاكاة لهم، فنطالع عن قُضُبِ الخُلفاء العباسيين الأخرى، أن أحد ملوك الهند أهدى للخليفة "هارون الرشيد" (١٧٠- ١٩٣هـ/ ٧٨٦- ٨٠٩م) "هدايا جليلة في جملتها قضيب من زمرد أطول من الذراع، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر، لا قدر له من النفاسة"، فوهبه الرشيد لزوجته "زُبَيْدَة"، وانتقل منها إلى "الأمين" (١٩٣- ١٩٨هـ/ ٨٠٩- ٨١٣م)، ثم إلى "المأمون" (١٩٨- ٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٣م)، ثم إلى "المعتصم" (٢١٨- ٢٢٧هـ/ ٨٣٣- ٨٤٥م)[٤٧]، ولهذه الإشارة أهمية خاصة، إذ تدل على أنَّ الخلفاء العباسيين عرفوا القُضُب ذات الرؤوس المُشَكَّلة على هيئة كائنات حيّة.

وقد استمر اتخاذ المَخَاصِر الصولجانية من قِبَل بعض الخلفاء والسلاطين المسلمين، كرمز يُشير إلى سلطتهم، وذلك في كثير من العصور التالية، كالعصور المملوكية، والعثمانية، والتيمورية، والصفوية، والقاجارية، وغيرها، إلا أن السيادة لديهم كانت للصولجانات التي تتخذ هيئة الدبابيس، وخاصة الدبابيس ذات الرؤوس التقليدية، التي تكون كروية الشكل، أو مضلعة، وما شابه.

---

[٤٤] المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق، جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م، جـ ١، ص٢٧٢,

[٤٥] الكتاني، جـ ١، ص٣٤٥، ٣٤٦. ولم يحدد سيادته أي خلفاء هم، وإذا كان هذا القول ينسحب على خلفاء بني أمية فهذا يدعم ما ذكرناه عاليه عن أمر عنزة الرسول التي ظهرت على درهم الخليفة "عبد الملك بن مروان".

[٤٦] Hillenbrand, R., Islamic Art and Architecture, London, 1999, p. 21, pl. 7

[٤٧] ابن الزبير، القاضي الرشيد، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق، محمد حميد الله، سلسلة التراث العربي، العدد ١، الكويت، ١٩٥٩م، ص٢٠، ٢١.

جدير بالذكر أنه إذا كان الخلفاء العباسيون في بغداد حرصوا على لبس بُرْدَة الرسول (ﷺ)، وحمل قَضِيبه، فقد كان ذلك أيضًا من مظاهر الخلافة العباسية زمن المماليك، وفي هذا الصدد يذكر عبد المنعم ماجد: "ولكن بقي للخلفاء لبس البُرْدَة –وهي لباس النبي– ومسك القَضِيب –وهو عصاة، على عادة الملوك القدامى"[٤٨].

ومن المفيد الإشارة إلى أنه إذا كانت الصولجانات –بصفة عامة– ترتبط في المقام الأول بالخلفاء، والسلاطين، والملوك، فقد وصلنا ما يُفيد أن بعض السلاطين العثمانيين كانوا يمنحون حُكَّام الإقطاعات صولجانات ترمز لتنصيبهم وحُكمهم للإقطاعات[٤٩]، كما كانوا يمنحونها –كذلك– إلى بعض كبار القادة من العسكريين، وهو ما يُؤكده بعض التصاوير التي وصلتنا وتُمثل قادة يحملون هذه الصولجانات، ومنها المَخَاصِر موضوع الدراسة.

على أية حال، فتشترك المَخَاصِر بأنواعها المتعددة في كونها عبارة عن أعواد، تُشكل نهاياتها من أعلى بهيئات مختلفة، فقد تكون مَعقُوفَة الطرف، أو ذات رأس كروي، أو بيضاوي الشكل، وما شابه ذلك، وفي بعض الأحيان قد تكون ذات رؤوس مُشَكلة على هيئة كائنات حية، أو على هيئة رؤوس هذه الكائنات.

المخاصر الصولجانية في التصوير الإسلامي:

بادئ ذي بدء أود أن أشير إلى قلة عدد نماذج المخاصر الصولجانية التي وقفت عليها في فنون التصوير الإسلامي، ولكن لا شك أن أي موضوع بحثي لا يستمد أهميته من كثرة عدد النماذج المتاحة، بل يستمده من أمور كثيرة أخرى، منها أصالة الموضوع، ومدى إضافته لمجال التخصص، وعلى الرغم من الإقرار بقلة نماذج المَخَاصِر المتاحة للدراسة، فمن حسن الطالع أنها ذات أشكال متنوعة ، كما حملتها شخصيات مختلفة.

على أية حال؛ فالمَخَاصِر التي وقفت عليها منفذة في فنون التصوير الإسلامي، كانت على هيئة عصي، وقُضُب، قد تكون طويلة، أو متوسطة الطول، وهي ذات رؤوس مختلفة الأشكال، يُمكننا تصنيفها إلى نوعين، الأول: تكون فيه هذه الرؤوس على هيئة عقف، أو هيئة كروية، أو بيضاوية الشكل، وما شابه، وقليل من مخاصر هذا الصنف زودت قرب طرفها العلوي بأشكال على هيئة شُعب، أو أهلة، أما النوع الآخر: فتُشكلت فيه هذه الرؤوس على هيئة رأس حيوان، أو على هيئة آدمي، أو على شكل طائر، ويُمكننا أن نطلق على النوع الأول: المَخَاصِر ذات الرؤوس التقليدية، ونطلق على النوع الآخر: المَخَاصِر ذات الرؤوس غير التقليدية.

---

[٤٨] عبد المنعم ماجد، نظم سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، دراسة شاملة للنظم السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٩هـ، جـ ١، ص٣٤.

[٤٩] انظر Zygulski,Z.,Ottoman Art in the Service of the Empire,New York and London,1992,p136

أولاً: المخاصر ذات الرؤوس التقليدية:

تُعد النماذج التي بين أيدينا من مخاصر هذا النوع من الوفرة بمكان، ونظرًا لتشابه أشكالها، والغرض من استخدامها؛ فسنختار منها أمثلة، تكفي لتوضيح الفكرة التي نرغب في إيصالها.

أقدمُ ما توصلت إليه من مخاصر هذا النوع في التصوير الإسلامي ما ورد على كسرة من الخزف ترجع إلى عصر سلاجقة الأناضول[٥٠] (٤٧١- ٧٠٨هـ/ ١٠٧٨- ١٣٠٨م)، فعلى هذه الكسرة رسم لأمير، وأميرة في منظر شاعري، ويمسك هذا الأمير بيمينه زهرية يقدمها للأميرة، ويمسك بشماله عصًا يسندها على كتفه الأيسر، وتتميز هذه العصا بأنها رفيعة، ولها رأس معقوف الطرف (شكل ٤)، وليس لنا من اعتقاد غير أن هذه العصا بمثابة صولجان يرمز لسلطة هذا الأمير، ويُلحظ أن طريقة وضع هذه العصا على كتف الأمير، هي الطريقة ذاتها التي استخدمها بعض السلاطين في حمل صولجاناتهم، كما سيتبين فيما بعد.

(شكل ٤)

كما وردت المَخَاصِر الصولجانية في رسم يُمثل صورة شخصية منفذة بالحفر للسلطان العثماني "محمد الفاتح" (٨٥٥- ٨٨٦هـ/ ١٤٥١- ١٤٨١م)، وهي من عمل أحد الفنانين الإيطاليين في القرن (١٠هـ/ ١٦م)[٥١]، والتي يبدو فيها السلطان "محمد الفاتح" في وضعة جانبية، ممسكًا في يمينه بمِخْصَرَة على هيئة قَضِيب رفيع، يسند أعلاه على كتفه الأيمن، وقد تميز هذا القَضِيب بأنه مُزَوَّد في الجزء العلوي بأشكال

[٥٠] انظر، Sanatlar, K., Selçuklu Seramik Sanati, Selçuklu Çağinda Anadolu Sanati, Istanbul, 2002, p. 377, fig. p. 377.

[٥١] هذا الحفر محفوظ بالمكتبة الأهلية في باريس. ربيع حامد خليفة، فن الصور الشخصية في مدرسة التصوير العثماني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٤٧، ٤٨، لوحة ١٢.

مختلفة، منها ثلاثة أهلة، أحدها يتجه إلى أعلى، واثنان يتجهان إلى الجانبين في وضع تدابر (لوحة ٣، شكل ٥)، ولا شك أن هذا القَضِيب هو صولجان يرمز لسلطة هذا السلطان، آخذين في عين الاعتبار أن الهلال كان شعارًا للدولة العثمانية[٥٢].

(شكل ٥)

كما وصلتنا من العصر العثماني –كذلك– صورة شخصية للسلطان "سليمان القانوني"[٥٣] (٩٢٦– ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠– ١٥٦٦م)، يظهر فيها واقفًا متقلدًا سيفًا، ويقبض في يمينه على قَضِيب، أو صولجان قريب في هيئته إلى حد كبير من الصولجان السابق، كما أنه يضع أعلى الصولجان على كتفه الأيمن (شكل ٦)، كما كان الحال في تصويرة السلطان "محمد الفاتح"، سابقة الذكر

(شكل ٦)

[٥٢] نادر عبد الدايم، التأثيرات العقائدية في الفن العثماني، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م، ص,٧٧

[٥٣] ثناء بلال، الشكل بدون رقم، وبدون رقم صفحة.

ومن العصر العثماني -أيضًا- وصلتنا صورة شخصية للقائد البحري العثماني "خير الدين بربروسا"[٥٤] (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، محفوظة في متحف "طوبقابو سراي" باستانبول، يظهر فيها هذا القائد قابضًا في شماله على الصولجان الذي أهداه له السلطان "سليمان القانوني"[٥٥]، وهذا الصولجان على هيئة مِخْصَرة، أو عصا رفيعة ذات رأس كروي الشكل، صغير الحجم (لوحة ٤، شكل ٧)

(شكل ٧)

كما وصلتنا المخاصر الصولجانية، التي على هيئة عصا في عديد من تصاوير المدرسة الإيرانية، وقد تكون هذه العصا طويلة، أو متوسطة الطول، وقد تكون ذات رأس كروي، أو لوزي الشكل، ومنها تصويرة من العصر الصفوي (٩٠٧-١١٣٥هـ/ ١٥٠٢- ١٧٢٢م) تُمثل "منظر بلاط في حديقة"، وهي من مخطوط صفة

[٥٤] عُرف باسم "بارب روس" عند الكتاب الغربيين، وهي تعني "ذو اللحية الحمراء"، وهو أحد أربعة أبناء ليعقوب الألباني في جزيرة ميتلين، وكان هو وأخ له يدعى "أوروج" يشتغلان بحرفة القرصنة في البحر المتوسط، ثم أسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي صاحب تونس. وعندما استولى السلطان سليم الأول على مصر سمع بأسطورة هذا الملاح فمنحه رتبة "بيكلربيكي" وأنعم عليه بفرس وسيف، وزوده بكتيبة من الانكشارية وبعض المدافع الثقيلة، كما استدعاه بعد ذلك السلطان سليمان القانوني لمدينة استانبول وأهداه سيفًا مرصعًا بالجواهر، وأنعم عليه برتبة "قبطان باشا"، وزوده بالسفن التي تمكن بواستطها من ضم تونس والجزائر إلى الدولة العثمانية، وتوفى خير الدين بربروسا في سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م، ودُفن في جهة بشكطاش على شاطئ البوسفور في المكان المعد لمرسى الدونانمات العثمانية. ربيع حامد خليفة، ح ٢، ص٨٢.

[٥٥] ربيع حامد خليفة، ص٩٣، لوحة ٢٩؛ Atasoy, N., and Çağman, F., Turkish Miniature Painting, Istanbul, 1974, pl. 20؛ وانظر، ثروت عكاشة، موسوعة التصوير الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠١، ص٢٥١، لوحة ٣٥٧م.

العاشقين، الذي يُنسب إلى مدينة "مشهد" في سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م[٥٦]، فيظهر في هذه التصويرة أمير شاب يمسك بيمينه عصًا رفيعة ذات رأس كروي الشكل، صغير الحجم، ويظهر من خلف هذا الأمير غلام من أحد أفراد الخدم، يقدم لهه طعام في صينية، ومن خلف الغلام مجموعة من رجال القصر، (لوحة ٥).

ومن هذه المَخَاصِر –أيضًا– مِخْصَرة على هيئة عصًا رفيعة متوسطة الطول، ذات رأس لوزي الشكل، وقد ظهرت ممسكًا بها الملك الإيراني "جمشيد"[٥٧] (لوحة ٦، شكل ٨)، وذلك في تصويرة ترجع إلى العصر القاجاري (١١٩٣– ١٣٤٢هـ/ ١٧٧٩– ١٩٢٤م)، محفوظة في متحف "لكارستان" في طهران[٥٨].

(شكل ٨)

ومنها –كذلك– مِخْصَرة على هيئة عصا طويلة، وسميكة، ذات رأس كروي الشكل، وقد ظهرت ممسكًا بها أيضًا الملك "جمشيد"، وهو جالسًا على كرسي العرش، وذلك في

---

[٥٦] انظر، Piotrovsky, M. B., Heavenly Art, Art of Islam, Exhibition Earthly Beauty, Amsterdam, from 16 December 1999 to 24 April 2000, p. 249, pl. 236.

[٥٧] جَمشيد، أو جَمشيذ: هو ابن الملك "طهمورث"، يُعد الملك الرابع من ملوك الأسرة البيشدادية، جلس على عرش إيران بعد وفاة أبيه، وله مكانة عالية بين ملوك الشاهنامة، وقد هلك على يد "الضحاك". راجع، الفردوسي، أبو القاسم، الشاهنامة، ترجمة، النداري، الفتح بن علي، تحقيق، عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣م، جـ ١، ص. ص٢١– ٢٤,

[٥٨] انظر، سمية حسن، المدرسة القاجارية في التصوير، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٠٩، لوحة ٢٢.

تصويرة مرسومة على بلاطة خزفية ترجع–أيضًا–إلى العصر القاجاري[٥٩](شكل ٩، لوحة ٧).

(شكل ٩)

ومنها –أيضًا– مِخْصَرَة على هيئة عصًا طويلة ورفيعة، تنتهي من أعلى بمنطقة مستطالة تحدها من أسفل منطقة دائرية الشكل، ويحدها من أعلى رأس صغير مقبب الشكل (شكل ١٠، لوحة ٨)، وقد ظهرت ممسكًا بها السلطان القاجاري "فتح علي شاه" (١٢١٢– ١٢٥٠هـ/ ١٧٩٧– ١٨٣٤م)، وذلك في رسم منفذ على صينية من الذهب المزخرفة بالمينا، ترجع إلى إيران في العصر القاجاري، يُمثل صورة شخصية لهذا السلطان[٦٠].

(شكل ١٠)

[٥٩])انظر، Islamic Art in Detail, the British Museum, London, 2005, pl. 125

[٦٠] انظر، سمية حسن، ص٢١١، لوحة ١٠٧.

جدير بالذكر أن المَخَاصِر التي على هيئة عصا طويلة ذات رؤوس كروية الشكل، أو ما شابه، وصلتنا في عدة تصاوير من العصر العثماني تُمثل بعض موظفي القصر كالبستانجي باشا[٦١]، والقابجي[٦٢]، حيث يظهر هؤلاء الأشخاص وهم ممسكين بها في أيديهم، إلا أنه يبدو من الصعب الاعتقاد أن هذه المَخَاصِر بمثابة صولجانات ترمز لسلطة هؤلاء الأشخاص، إذ العبرة ليس في شكل الأداة، بل العبرة في ماهية الشخص الذي يحمل هذه الأداة، وقد زخرت تصاوير المخطوطات الإسلامية، بكثير من الأشخاص العاديين، أو الأقل من ذلك[٦٣]، يحملون أدوات تأخذ هيئة بعض العصي نفسها التي يُمكن اعتبارها مَخَاصِر صولجانية، في حالة إن حملتها شخصيات ذات حيثيات، كالسلاطين، والأمراء، والقادة.

ولكن ثمة تصاوير أخرى ترجع إلى بعض مدارس التصوير الإسلامي، تُمثل بعض رجال الدين الإسلامي من النساك، والزهاد؛ يحملون مثل هذه العصي، ومنها – على سبيل المثال– تصويرة من المدرسة الإيرانية تُمثل العاشقين والناسك[٦٤]، وتصويرة أخرى تمثل درويش ملتح[٦٥]، وعدة تصاوير من المدرسة المغولية الهندية، منها تصويرة تُمثل "الأمير Nobles والدرويش"[٦٦] (لوحة ٩، شكل ١١)، وغير ذلك[٦٧]، ومنها كذلك تصويرة من المدرسة العثمانية، تُمثل أحد الدراويش[٦٨]، ويبدو أنه من الصعب الجزم ما إن كانت مثل هذه الأدوات التي يمسك بها هؤلاء النساك، والزهاد، مجرد أدوات يتكئون عليها، أم أنها ترمز لمكانتهم وسلطتهم الدينية، ولكن شيوع تمثيلها

---

[٦١] بستانجي: تعني في التركية البستاني، وبستانجي باشى: تعني كبير البستانيين. ربيع حامد خليفة، ص٢٦٦، لوحة ٢١٩.

[٦٢] القابجي، أو القبجي: من الكلمة التركية "قابي" أي الباب، ألحقت بها "جي" أداة النسب إلى الصنعة، فالقابجي هو البواب يحرس باب الإيوان الحكومي، ويفتحه ويغلقه، ويستقبل الآتيين إلى الديوان في القصر السلطاني باستانبول. ربيع حامد خليفة، ص٢٦١، اللوحتان ٢٠٨، ٢٠٩.

[٦٣] من ذلك –على سبيل المثال– الرعاة. انظر، ثروت عكاشة، لوحة، ٢٤٣م. والحراس. انظر، ثروت عكاشة، لوحة ٢٩١م، وشخصيات من عامة الشعب، ويُمثلهم أبو زيد السروجي، انظر، انتجهاوزن، ريتشارد، فن التصوير عند العرب، لوحة ص٨٢.

[٦٤] من مخطوط ديوان حافظ، بدار الكتب المصرية بالقاهرة، يرجع إلى ق ٩هـ/ ١٥م. انظر، ثروت عكاشة، لوحة ٢٧٩م.

[٦٥] تُنسب إلى المصور الصفوي"شفيع عباسي"،في أصفهان سنة ١٦٤٠م.راجع،ولش،ستيوارت كاري،فالنامة شاه طهماسب،كنوز الفن الإسلامي،ترجمة،حصة صباح السالم،وآخرون،جنيف ١٩٨٥م.

[٦٦] محفوظة في متحف فكتوريا وألبرت بلندن، ترجع إلى حوالي سنة ١٦٨٠م. انظر،
Deneck, M., Indian Art, The Colour Library of Art, London, 1976, p. 39, pl 44

[٦٧] انظر، منى سيد علي، التصوير الإسلامي في الهند، الصور الشخصية في المدرسة المغولية الهندية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٢٠، لوحة ٧٩.

[٦٨] انظر، ربيع حامد خليفة، ص١٥٥، لوحة ١١٨.

مع هذه الشخصيات ذات المكانة الدينية الخاصة، ترجح أن لها دورًا معنويًا، أو بمعنى آخر يُرجح أنها صولجانات ترمز لمكانتهم وسلطتهم الدينية.

(شكل ١١)

إضافة إلى ما تقدم فقد وصلتنا قطعة من قماش الحرير، محفوظة في مجموعة "ناصر الخليلي" للفن الإسلامي في لندن، وهي ترجع إلى الهند في أواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م[٦٩]، عليها رسم لأميرة تقف أسفل عقد منكسر، ممسكة في يديها بعصاتين، الأولى تمسكها من أسفل بيمينها وترفعها عند مستوى رأسها، والأخرى تمسكها من منتصفها بشمالها وتوجهها إلى أسفل، وقد تميزت العصا الأخيرة بأنها أكثر سمكًا من العصا الأولى، ولها رأس كروي صغير الحجم (لوحة ١٠، شكل ١٢)، وعلى الرغم من أن هذه العصا لا تختلف في شيء عن بعض العصي التي كانت تُستخدم كصولجانات من الملوك، والأمراء، وكبار القادة، فيصعب الجزم بأنها صولجان سلطة مثلها، ولو كان الأمر كذلك، فهي دليل على أن الأميرات كُنَّ يَحمِلن هذه النوعية من الصولجانات، كما كان يحملها الملوك، والأمراء، وكبار القادة.

(شكل ١٢)

[٦٩] Piotrovsky, M. B., p. 138, pl. 83

ثانيًا: المخاصر ذات الرؤوس غير التقليدية:

لهذا النوع من المخاصر أهمية خاصة، إذ في حين كانت المَخَاصِر التي على شاكلة النوع الأول- ذات الرؤوس التقليدية- يحملها سلاطين، وأمراء، وقادة، ويحمل مثلها غيرهم من رجال الدين، وأرباب الوظائف، والشخصيات العادية، ولا يجوز أن نطلق عليها "مخاصر صولجانية" إلا إذا كان يحملها شخصيات ذات حيثية، كالملوك، والقادة، والأمراء، فإن هذا النوع من المَخَاصِر لم يكن يحمله إلا السلاطين، والملوك، لذا فعندما نجد شخصًا ممسكًا بها فلا يساورنا شك في أنه سلطان، أو ملك، وأن هذه المخاصر ترمز لسلطته[٧٠].

أقدم ما توصلت إليه من مخاصر هذا النوع، ما ورد في تصويرة تُمثل "الإسكندر على عرشه"، وهي من مخطوط كتاب مُختار الحِكَم ومَحاسن الكَلِم"، لأبي الوفاء مَبَشِّر بن فاتِك المُسْتَنْصِريّ القائِد، المحفوظ بمتحف "طوب قابو سراي" باستانبول، والذي يُنسب إلى سورية خلال عصر أتابكة السلاجقة في حوالي سنة (٥٩٧- ٦٤٨هـ/ ١٢٠٠- ١٢٥٠م)[٧١]، فيظهر في هذه التصويرة "الإسكندر" جالسًا على عرشه وعلى جانبيه غلامان، وعلى رأس "الإسكندر" تاج، وقد ذكر "ثروت عكاشه" أن الإسكندر يمسك "بيده اليمنى عَصًا بدَأت مِن مُحازاة صَدره وطالت حَتّى بَلَغَ طَرفها المُدبَّب سَطْح الأَرْض، وزَيَّنَها المُصوِّر برَأس حَيوان (شكل ١٣، لوحة ١١) قَدْ يَكون فَهْدًا أَوْ أَسَدًا ولعَلَّه رَمَزَ لها بصَوْلجان المُلْك"[٧٢]، وهو محق في ذلك، ولعل تشكيل رأس هذه العصا، أو الصولجان على هيئة رأس حيوان مفترس -فهد، أو أسد- يرمز، أو يُشير إلى قوة "الإسكندر".

---

[٧٠] جدير بالذكر أن الدبابيس كانت على شاكلتين أيضًا، دبابيس ذات رؤوس تقليدية، تكون كروية، أو بيضاوية، وما شابه، ودبابيس ذات رؤوس غير تقليدية، تُشكل على هيئة رؤوس آدمية، وحيوانية، وخرافية، وفي حين كانت الدبابيس ذات الرؤوس التقليدية تُستخدم من قِبَل السلاطين، والأمراء، والقادة، والجنود العاديين، فإن الدبابيس ذات الرؤوس غير التقليدية لم تكن تُستخدم إلا من قِبَل السلاطين، والأمراء، والقادة العظام. عبد الناصر ياسين، الدبابيس ذات الرؤوس غير التقليدية في تصاوير المخطوطات الإيرانية خلال الفترة من ق ٨- ١٢هـ/ ١٤- ١٨م، مع دراسة مقارنة لمثيلاتها في تصاوير المخطوطات الإسلامية المعاصرة، بحث مقبول للنشر في مؤتمر الفيوم السادس، كلية الآثار، جامعة الفيوم، ٢٢- ٢٤إبريل، ٢٠٠٧م.

[٧١] انظر، ثروت عكاشة، ص٨٨، لوحة ٩٦.

[٧٢] انظر، ثروت عكاشة، ص٨٨، ٨٩.

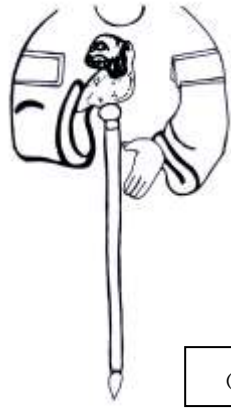

(شكل ١٣)

ومن مخاصر هذا النوع كذلك، ما وصلنا في تصويرة تُمثل الملك الإيراني "كيخسرو"[٧٣] يعبر نهر جيحون" (لوحة ١٢، شكل ١٤)، وهي من مخطوط "الشاهنامة" المحفوظ بدار الكتب المصرية في القاهرة، والذي يرجع إلى العصر التيموري بإيران في سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م[٧٤]، يظهر فيها "كيخسرو" جالسًا على عرش في سفينة ممسكًا بصولجانه، ويجلس أمامه ثلاثة من مرافقيه، هذا إلى جانب اثنين من البحارة يجلس أحدهما عند مقدم السفينة، ويجلس الآخر عند مؤخرها، ويتكون صولجان "كيخسرو" من عصا طويلة، ورفيعة تنتهي من أعلى بتمثال لشخص يجلس القرفصاء، والحقَّ أنه ليس لدينا تفسير لتشكيل نهاية هذا الصولجان على ذلك النحو، كما أنه لا ذكر لهذا الصولجان في "الشاهنامة" عند تناولها خبر عبور "كيخسرو نهر جيحون"[٧٥].

[٧٣] كيخسرو: هو كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس، الملك الثالث من ملوك الفرس الكيانيين. للاستزاده عنه، راجع، الشاهنامة، جـ ١، ص١٩٩.

[٧٤] انظر، ثروت عكاشة، ص١٦٦، لوحة ١٦٢.

[٧٥] الشاهنامة، جـ ١، ص٢٨٢ وما بعدها.

(شكل ١٤)

علاوة على ما تقدم، فقد وصلتنا عدة تصاوير شخصية من إيران تُمثل السلطان القاجاري "فتح علي شاه" (١٢١٢- ١٢٥٠هـ/ ١٧٩٧- ١٨٣٤م)، يظهر فيها ممسكًا بصولجانات على هيئة عصي طويلة، رفيعة، شُكِّلت رؤوسها على هيئة طائر الهدهد [٧٦] (لوحة ١٣، شكل ١٥)، ولا شك أن هذه العصي هي صولجانات مُلْك ترمز لسلطة هذا السلطان، وقد مرت بنا تصويرة أخرى يظهر فيها السلطان نفسه ممسكًا بعصا ذات رأس تقليدي، مما يعني أنه كان يستخدم كلا النوعين من المَخَاصِر -ذات الرؤوس التقليدية، وذات الرؤوس غير التقليدية- والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، لِمَ شُكِّل رأس الصولجان محل التناول على هيئة طائر الهدهد؟ وربما كانت الإجابة أنه لما يتمتع به هذا الطائر من جمال الشكل، أو لمكانته الخاصة في نفوس المسلمين[٧٧].

[٧٦] انظر، سمية حسن، ص١٠١، اللوحتان ١٠، ١١؛ Bloom, J., Blair, Sh., Islamic Arts, London, 1998, pl. 225; Piotrovsky, M. B., p. 138, pl. 303.

[٧٧] راجع، عبد الناصر ياسين، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية (دراسة في "ميتافيزيقا" الفن الإسلامي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص. ص١٦٤- ١٦٦,

(شكل ١٥)

وعلى نفس النهج السابق وصلتنا تصويرة شخصية للسلطان القاجاري "محمد شاه" (١٢٥٠- ١٢٦٤هـ/ ١٧٩٧- ١٨٣٤م)، وهي منفذة على طنفسة مؤرخة بسنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، يظهر فيها هذا السلطان جالسًا على العرش بملابسه الرسمية، ممسكًا بصولجان على هيئة عصي طويلة، رفيعة، شُكِّلت رأسها على هيئة طائر[٧٨] (لوحة ١٤، شكل ١٦)، ومن الواضح أن هذه العصي تمثل صولجان الملك الرامز لسلطة هذا السلطان.

[٧٨] انظر، إيمان محمد العابد ياسين، التأثيرات الأوربية على الفنون الإيرانية خلال العصر القاجاري (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م) – (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م، اللوحة ٨١.

(شكل ١٦)

الخلاصة وأهم النتائج:

– تبين من الدراسة أن "المَخَاصِر" مصطلح يُقصد به عديد من الأدوات، كالعَصَا، والقَضِيب، والمِحْجَن، والعَنَزَة، وما شابه ذلك مما يختصره الإنسان بيده، و"المَخَاصِرُ الصَّوْلَجَانيةُ" يُقصد بها هذه الأدوات في حالة استخدامها كرمز يُشير إلى سلطة حاملها.

– اتضح من الدراسة أن "المَخَاصِرُ الصَّوْلَجَانيةُ" عُرِّفت في كثير من الحضارات القديمة، كالحضارة المصرية، والإغريقية، والرومانية، إلا أنها شاعت بشكل كبير في الحضارة المصرية ووصلنا منها نماذج متنوعة.

– تبين من الدراسة أن بعض رجال الدين المسيحي استخدموا أنواعًا مختلفة من المَخَاصِر، ومنها ما كان بمثابة صولجانات ملكية، ترمز لسلطتهم، ولرئاستهم، شأنها في ذلك شأن التيجان التي يضعها البطاركة على رؤوسهم.

– اتضح من الدراسة أن المَخَاصِر استُخدمت من قبل ملوك العرب، وأشرافهم قبل الإسلام، وكانت بمثابة رمزًا يُشير إلى سلطتهم، ومكانتهم، كما استُخدمت بنفس مفهومها هذا مِنْ قِبَلِ ملوك العرب في أوائل العصر الإسلامي.

– تبين من الدراسة أن الرسول (ﷺ) اتخذ أنواعًا عديدة من المخاصر، كالقَضِيب، والعَصَا، والمِحْجَن، والعَنَزَة، ولم تستبعد الدراسة أنه كان لهذه المَخَاصِر وظيفة معنوية، أي كانت "مَخَاصِر صَوْلَجَانية"، لا سيما أن ملوك العرب، وأشرافهم قبل الإسلام كانوا يستعملون هذه المخاصر كرمز يُشير إلى منزلتهم، ومكانتهم الرفيعة.

– اتضح من الدراسة أن خلفاء بني العباس استخدموا قَضِيب رسول الله (ﷺ) كشعار لخلافتهم، وأن هذا القَضِيب كان لديهم بمثابة "صَوْلَجان" يرمز لسلطتهم السياسية، والدينية، كما أن خلفاء الدولة الفاطمية حاكوهم في ذلك فاتخذوا قَضِيبًا كشعار لخلافتهم.

– تبين من الدراسة أن خلفاء بني العباس عرفوا المَخَاصِر، أو الصولجانات ذات الرؤوس المشكلة على هيئة طيور، وذلك منذ عهد الخليفة "هارون الرشيد".

– تبين من الدراسة أنه يُمكننا تقسيم "المَخَاصِرُ الصَّوْلَجَانيةُ" التي مُثلت في في التصوير الإسلامي إلى نوعين، النوع الأول: المَخَاصِر ذات الرؤوس التقليدية، وهي على هيئة عِصِي، أو قُضُب، ذات رؤوس كروية، أو بيضاوية الشكل، وما شابه، والنوع الآخر: المَخَاصِر ذات الرؤوس غير التقليدية، وهي على هيئة عِصِي، أو قُضُب، ذات رؤوس مُشكلة على هيئة رؤوس حيوانات، أو على هيئة تماثيل طيور، أو أشكال آدمية.

– اتضح من الدراسة أن "المَخَاصِرُ الصَّوْلَجَانيةُ" عُرِّفت بنوعيها في بعض العصور الإسلامية، ووصلنا نماذج من النوع الأول –ذات الرؤوس التقليدية– ترجع إلى العصور السلجوقية، والعثمانية، والصفوية، والقاجارية، ووصلتنا نماذج من النوع الآخر –ذي الرؤوس غير التقليدية– ترجع إلى سوريا في عصر أتابكة السلاجقة، وإلى إيران في العصرين التموري، والقاجاري.

– تبين من الدراسة أن النوع الأول من المَخَاصِر –ذا الرؤوس التقليدية– كان يحمله السلاطين، والملوك، والأمراء، والقادة، كما كان يحمله رجال الدين، وأرباب الوظائف، وعامة الناس، إلا أنه لا يُمكن أن يُطلق عليها "مَخَاصِرُ صَوْلَجَانيةٌ" إلا إذا كان يحملها شخصيات من ذوي السلطة والنفوذ، كالسلاطين، والملوك، والأمراء، والقادة، وفي الوقت نفسه لم تستبعد الدراسة أن رجال الدين كانوا يحملون هذه المخاصر كرمز يُشير إلى مكانتهم وسلطتهم الدينية.

– اتضح من الدراسة أن النوع الثاني من المَخَاصِر –ذا الرؤوس غير التقليدية– كان حكرًا على الملوك، والسلاطين، ولم تظهر حاملاً إياها قط شخصيات عادية، وذلك على ضوء ما توفر من النماذج الخاضعة للدراسة.

: جميع الأشكال الواردة في البحث من عمل الباحث، عدا الشكل ١ عن: هاري. ج، شكل ص٤٤. والشكل ٢، عن: Hassan, A., Abb. 28. والشكل ٣، عن ثناء بلال، والشكل ٦، عن ثناء بلال، بدون رقم شكل أو رقم صفحة.